"أثر الاستشراق النمساوي في تأريخ الأدب العربي: جوزيف همر فون بورجستال أنموذجا"
ورقة عمل مقدمة إلى: "جمعية يورا صويفر العلمية بفيينا"
فى الفترة من 15 إبريل الى ٢٨ إبريل 2024م.
رئيس الجلسة معالي الدكتورة رانيا الوردي نائب رئيس هيئة إنست الدولية

إعداد:
دكتور السيد إبراهيم أحمد

نبذة عن الكاتب:

-رئيس قسم الأدب العربي باتحاد الكتاَّب والمثقفين العرب - باريس، ورئيس تحرير مجلة كنوز الأقلام الثقافية، وعضو شعبة المبدعين العرب بجامعة الدول العربية، وعضو المركز الأوروبي لدراسات الشرق الأوسط، ومحاضر مركزي بهيئة قصور الثقافة المصرية، ومستشار إعلامي.

له العديد من الدراسات الدينية والتاريخية والأدبية والنقدية والإبداعية وفن الحوار التي فاقت الثلاثين كتابا منشورة بعدة لغات، واختارت أغلبها مؤسسة "نور بابليشينج" في دوسلدورف بألمانيا، غير المقالات والدراسات والأبحاث المحكمة، وضيف دائم على القنوات التلفازية والإذاعية المصرية، نال العديد من الأوسمة وشهادات التقدير من أكثر من جهة مصرية وعربية.

المقدمة:

يتناول الباحث من خلال هذه الورقة الاستشراق النمساوي وأثره في التأريخ للأدب العربي وهو الدور الريادي الذي اضطلع به المستشرق "همر فون بورجستال" في فترة الاستشراق الذهبي، كما كان للاستشراق النمساوي دوره الكبير في تاريخ الإسلام، ودين الإسلام، وتاريخ العرب، واللغة العربية، والفن التشكيلي، وهذه أدوار يجب أن تجمعها ورقة واحدة تؤطر لدور النمسا القديم والحديث في التواصل المعرفي والثقافي والفكري بينها وبين العرب، وهذا هو هدف الباحث الذي استلزم منه أن لا يركز على "بورجستال" وحده، من أجل أن يزداد الشباب النمساوي والعربي معرفة بهذا الامتداد التاريخي الذي جعل للنمسا مكانة مختلفة في قلوب العرب، ومنه ما سنرصده فيما تناوله أعلام العرب بالكتابة عن دور "بورجستال" الكبير والمؤثر في المستشرقين في زمنه.

الاستشراق النمساوي:

لقد اختلف الباحثون حول مصطلح "الاستشراق" مثلما اختلفوا حول بدايته ونشأته، لكن الذي نعول عليه في دراستنا التي بين أيدينا عن الاستشراق النمساوي وبدايته التي تراها المستشرقة الألمانية "آنا ماري شيمل" أن الاستشراق في النمسا يختلف عنه في سائر البلدان الغرب؛ إذ كانت مملكة النمسا الواسعة مجاورة للدولة العثمانية، وقد حاصر الجنود الأتراك مدينة فيينا مرتين سنه 1529 وسنه 1683م، مما أوجب على النمساويين الاهتمام بعادات جيرانهم الأقوياء، وبطرق حياتهم، وكذلك بلغتهم فتم حفر حروف عربية في خشب لأجل الطباعة لأول مرة سنة 1554م في فيينا، وبعد قرن واحد تم تأسيس كرسي للدراسات الشرقية بنفس المدينة [1].

فالاستشراق مصطلح يدور بين التاريخ والعلم في توجهه لدراسة علوم وآداب الشرق وأحواله ودينه، لأسباب متباينة وأهداف مختلفة. ويصبح بهذا التعريف أن "المستشرق" هو عالم متخصص في دراسة أحوال الشرق ودوله، وتاريخ شعوبه، وسائر المعارف، والعقائد الدينية من الأديان واللغات، ونشاطات الفكر وما يتصل بهذه الأمم من آداب وعلوم وعادات وتقاليد في زمن ظهور هذا النشاط، والزمن المتقدم عليه.

على الرغم من أن التعريف بـ "الاستشراق" فيه صعوبة بالغة، الأمر الذي أكده رئيس الرابطة الدولية لدراسة اللهجات العربية ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها بمعهد الاستشراق بجامعة فيينا الدكتور "ستيفان بروكازكا"، ومطالبة أحدهم له بتغيير اسم المعهد، فقال: (إن الأمر مطروح لديهم في النمسا والمناقشات ما تزال مستمرة وأخذت منهم وقتاً طويلاً لتغيير مصطلح الاستشراق، وقد تم طرح عدد من الاقتراحات كمسمى دراسات الشرق الأوسط أو الدراسات العربية وأن الاسم الحالي لمعهدهم هو معهد الاستشراق فيما توصلوا لاحقاً إلى عدم تغيير المسمى وذلك بسبب أن المعهد لديه تاريخ طويل ومعروف بهذا الاسم ومن الصعوبة تَقبُل تغييره في الوقت الحاضر)، كما أوضح "بروكازكا" أيضا، أن الاستشراق بالنسبة للنمسا فقط هو الاهتمام باللغة العربية، مضيفاً: بأن هذا الاهتمام بدأ منذ القرن الخامس عشر ميلادية، مشيراً إلى أن المستشرقين في النمسا مختلفون جداً عن غيرهم في فرنسا وانجلترا، وذلك لأن النمسا لم تكن دولة استعمارية، بل كان الاستشراق في النمسا يهتم بالأدب والتاريخ والبحوث.

وهو بحق ما كان من أمر الاستشراق النمساوي الذي اهتم بتاريخ وآداب وفنون وأديان ولغات الشرق، وهو ما يلاحظه المهتم بأمر الاستشراق من هذا التنوع الذي نرصده على النحو التالي: من الفنانين: الرسام والمستشرق "لودڤيج دويتش" عميد مدرسة الاستشراق النمساوية، والمشهور بـلقب: "أسير القاهرة" (1855 - 1935)، والفنان "ليبولد كارل مولر" (1834 – 1892)، وهو الأكثر شعبية بين الفنانين، والفنان "ليوبولد كارل مولر" (1834-1892) ويعد مؤسس المدرسة النمساوية للرسم الاستشراقي، والفنان "ألفونس ميليتش" (1863-1929) [2].

ومن المستشرقين والعلماء: اللاهوتي والمستكشف والجغرافي "ألواس موسيل (1866-1944) أجرى بحوثاً مكثفة من خلال رحلاته في الجزيرة العربية والأراضي المقدسة، وقد زار قصير"عمرة الأموي" الذي يعود إلى منتصف القرن الثامن في عام ١٨٩٨ ليصبح أول أوروبي يصل إليه، و"ألبريخت كرافت" (1816 - 1847) من آثاره: "نشر روضة النسرين في دولة بني مرين لابن الأحمر"، و"ليو آريه ماير" (1895 – 1959م) رئيس معهد العلوم الشرقية في القدس، الذي أصدر حولية في الآثار والفنون الإسلامية بعدة لغات، كما أنجز (32) كتابا و(132) بحثا ودراسة تناولت مواضيع مختلفة من الحضارة الإسلامية كفن البناء، والمسكوكات، ونشر الوثائق والمخطوطات، وتميز بالعلمية، والدقة، والإحاطة بالمصادر والمراجع، والإنصاف والبعد عن الهوى، والريادة، وقد أظهر في الدراسات الحضارة الإسلامية بمظهر مشرف، قلما توصل إليها باحث مستشرق، أو حتى باحث مسلم، والعالم البارز "إدوارد غلازر" (1855 – 1908م) طاف بلاد العرب في آسيا وأفريقيا وأصدر(1032) كتابا من الكتابات القديمة المنقوشة على الأحجار، و(250) من مخطوطات الزيديين باليمن، ونشر كتابات حميرية.

المستشرق "جوزيف فون همَّر پورجشتال": سيرته ومسيرته:

من القلائل الذين يتميزون بتداخل سيرتهم الحياتية في سيرتهم العلمية، والعملية والإبداعية بالتبعية، إنه المستشرق "جوزيف فون همَّر پورجشتال"؛ فقد ولد في التاسع من يونيو عام 1774 في مدينة "جراتس" الواقعة في جنوب شرقي النمسا، من أب يعمل موظفاً في الحكومة النمساوية، لم يكد جوزيف ينهى دراسته الأولى حتى جاء إلى فيينا في سنة 1788 ليلتحق بالأكاديمية الإمبراطورية للغات الشرقية، ليتخرج منها ويعمل في السلك الدبلوماسي النمساوي في تركيا.

من المهم أن نتوقف عند هذه الأكاديمية ونظامها الصارم، لنعلم مدى قدرة جوزيف على الصبر وتحمل عبء التعلم، والمثابرة التي أهلته طيلة حياته لخوض غمار البحث والدراسة ومنها تأريخ الأدب العربي. لقد أسست الامبراطورة "ماريا تيريزيا الكبيرة" هذه الأكاديمية في فيينا، بعد أن أدركت أهمية الدراسات الشرقية، وكان نظام هذه المؤسسة صارمًا للغاية؛ إذ كانت الدراسة تبدأ فيها في تمام الساعة 6:00 صباحا وتستمر إلى الساعة 9:00 في الليل، وكان على الطلبة أن يدرسوا اللغات الشرقية كل يوم لثلاث ساعات إلى جانب الفلسفة والتاريخ واللغة الفرنسية والفراسة والرقص وكل ما كان ينتظر من صفات في شاب أصيل سيكون ممثلا لمملكته في البلاد الأجنبية، وكانت مدة الدراسة خمس سنوات، وكان الشبان يتعلمون في تركيا بصوره جيدة دون أن يحصلوا على تعمق في فقه اللغة أو في الطرق العلمية، بل كان مقصد هذا المعهد التطبيق الفعلي للغات في المناسبات السياسية بين النمسا والدولة العثمانية وكان الطلاب يدرسون قليلا من الشعر ويترجمون شيئا من الأدب الفارسي.

كان من حظ جوزيف السئ والجيد معا أن يتخرج من الأكاديمية، غير أن راعيه المستشار "فون كوبينزل" تتم إقالته، فلم يعين على الفور في السلك الدبلوماسي وهذه كانت أمنيته في ذاك الوقت، ليستمر باحثا في الأكاديمية بضع سنوات أخرى، حيث عمل في ترجمة بعض كتابات العالم التركي "حاجي خليفة" معاوناً للمؤرخ "يوهانس فون مولر"، ونشرت كتاباته سنة 1806 في موسوعة الشرق العلمية، كما عمل مع المستشرق "برنارد فون ينيش" في معجم تضمَّن المفردات العربية والتركية والفارسية، وما يقابلها من اللغات اللاتينية والفرنسية والألمانية والبولندية.

لقد استفاد جوزيف من عمله الدبلوماسي حيث عمل مترجمًا، مثلما استفاد من سفرياته حين شارك في الحملة البحرية البريطانية ـ العثمانية التي استهدفت إخراج نابليون وقواته من مصر وسواحل فلسطين، وشهد حصار الإسكندرية واستسلام القوات الفرنسية التي تركها نابليون فيها، كما شهد استسلام عكا، وانتهت الحملة في سنة 1801 بخروج فرنسا من مصر، وانتهاء المحاولة النابليونية لاحتلالها، غير أنه استفاد من إقامته في مصر عامين اتقن فيهما المحادثة باللغة العربية وباللهجة المصريّة خاصةً، ربما امتد تأثره بما رآه وعاشه في مصر إلى عام 1818م حين كتب رسالته التي سماها: "برسيم الشرق"، التي تضمنت قصائده بالعربية التي عبر فيها عن طبيعة مصر وفيها يجذب نظر قارئه، وينقله من ظواهر الطبيعة إلى بواطن الروح الإنسانية. وقد نظم عام 1823م قصائد بعنوان: "النغمات المثلثة لممنون" استلهم فيها الأسطورة المصرية القديمة التي تقول إنه كان يصدر عن تمثالي ممنون في الأقصر نشيد وغناء.

وقد صاحب جوزيف برجستال الأدميرال "وليام سيدني سميث" قائد الحملة البحرية البريطانية ـ العثمانية، إلى لندن حيث كان يعمل مترجماً له، في سياحة أوروبية أمضى فيها خمسة أشهر درس الإنجليزية خلالها، كما راجع المكتبات البريطانية في لندن وأكسفورد، ثم غادرها إلى باريس حيث التقى بالمستشرق "سيلفستر دي ساسي" أستاذ العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، وهو العالم الشهير الذي أخذ عنه العلم كثير من مستشرقي أوروبا.

لقد استفاد جوزيف من كل اللغات التي تعلمها فأتقنها، عندما أقبل على العديد من الكتب والمخطوطات فأخذ يترجمها عبر دفقات غزيرة في إنتاجه المشهود، وقد كان مرده دافعين يتعلقان به أشد التعلق، دون غيره أو أكثر من غيره من المستشرقين، على وجه العموم، ربما،

الذين كانت لهم أسبابهم التي ارتبطت بل التحمت بدوافع الاستشراق المادية: الدينية، والاستعمارية، والعسكرية، والسياسية، والاقتصادية، والسياسية، والأيديولوجية، والعلمية.

أما الدافع الأول، فيكمن في أن جوزيف كان محبًا لحد الشغف بل الهوس بالشرق، ومنه انبثق دافعه الثاني وهو غايته أن يعقد صلة بين الشرق والغرب، فينقل حضارة الشرق للغرب والعكس، وهو ما كان، عندما ترجم من اللاتينية إلى الفارسية كتاباً للإمبراطور الروماني "ماركوس أورليوس"، المعروف بالتأملات، ودون فيه خواطره أثناء حكمه، ذلك أنه كان شغوفا لا بالآداب الشرقية فحسب بل بتأريخ الشرق عموما، على حد قول آنا ماري شيمل، وهو ما بدا واضحا عندما اختتم كتابه، بقوله: "إيوان الصور لحكماء المسلمين الكبار في القرون السبعة الأولى للهجرة: (إن عروق الذهب والكنوز الخفية في الريخ العرب والفرس والأتراك العثمانية والتتر، ليست معروفة معرفة كافية، والذهب الخام الذي تحتويه هذه الكنوز لم تجر عليه لحد الآن عمليات الغربلة والتصفية بشكل يدعو إلى الراحة، ولم تفصل الجواهر الثمينة بعد من التربة الملتصقة بها، ولم يصقل بعد جيدا بحيث يمكن أن يؤلف منها الآن عمل فني تاريخي عظيم).

يقول المستشرق الألماني "الفرت فلهلم (وليم الورد)" في مقالته عن الشاعر خلف الأحمر حيث يصف ترجمة جوزيف بورجستال لقصيدة هذا الشاعر كثمرة من أثمار خياله واعترافًا من آلورد بخصوصية جوزيف: (كان هدفه أن يفهم الشرق من جميع نواحيه، وأن يقود العالم الأوروبي لإدراك الشرق كما انطبع في عقله. هذا يفسر لنا سر نشاطه الفذ والدافع الداخلي لاقتباسه المعارف والسعي إلى اطلاع الغير على المعلومات، وهذا سبب انتاجه الخصب لكتب كبيرة، وسبب كَده وعمله المتواصل دون كلل طالما كان في حيز النهار).

لقد وصل جوزيف إلى غايته عندما نجح في ترجمة هذا الكم من الأعمال التي فتحت أمام الأوربيين الكثير من كنوز الشرق العلمية والأدبية؛ فأسدى بصنيعه هذا خدمات جليلة للآداب الشرقية: العربية والفارسية والتركية عند الأوروبيين. وقد اعترف بفضله جوته في: "الديوان الشرقي للمؤلف الغربي"، وأقر له بالفضل الجزيل عليه في إطلاعه على روائع الأدب الفارسي، وبفضل ترجمة جوزيف لديوان حافظ استطاع جوته أن يستلهم معظم قصائد الديوان الشرقي.

المستشرق "جوزيف فون همَّر پورجشتال": رائد تأريخ الأدب العربي:

لقد استحق جوزيف فون همَّر پورجشتال لقب رائد تأريخ الأدب العربي أن العرب لم يعرفوا منهج تقسيم التاريخ للأدب حسب المدارس الأدبية قبله، وإن أدرك النقاد منهم اشتراك جماعة من الشعراء في الخصائص الفنية كما أوردوها في كتبهم كتقسيم الشعراء إلى أصحاب الطبع وأصحاب الصنعة، إلا أنهم لم يتخذوا هذه الاتجاهات الفنية أساسا لتاريخ الأدب؛ فتاريخ الأدب ضرب جديد من التأليف لم يعرفه العرب إلا بالأخذ عن الغرب في العصر الحديث، وهذا ليس تمجيدًا للغرب ولكنه الاعتراف بأسبقيتهم في هذا المجال، كما أنه اعتراف تقتضيه الأمانة العلمية، وقد كان كل عمل المؤرخين تراجم متفرقة ينقصها الجمع والمزج والترتيب والتعليل فهي مصادر لتاريخ الأدب، وكانت هذه المؤلفات بمثابة المواد الخام التي يُبنى بها تاريخ الأدب العربي، وتمثل المصادر التي لا غنى عنها لمؤرخي هذا الأدب من المستشرقين [3].

من عجيب أمور اللغة العربية أنك لا تجد حتى اليوم تاريخاً ممتعاً لآدابها مع وفرة كتبتها وتعدُد مصنفاتها في كل أبواب العلوم واتساع دائرة نفوذها إلى حدود الهند والصين ومجاهل أفريقية وسواحل أوربا وقد أحسَّ بهذا النقص مائة من المستشرقين المحدثين في فرنسا والنمسا وألمانيا

وإنكلترا وروسيا وإيطاليا فأرادوا نوعاً سدّ هذا الخلل ببعض التآليف التي أودعوها أوصاف العلوم العربيَّة وتراجم أصحابها وقائمة الكتب التي صنفوها [4].

لقد انطلق المستشرقون في تأريخهم للأدب العربي من ذلك الفكر التجريبي والتدقيقي في الفقه اللغوي والتنظيمي والتراتبي الذي كان سائدا في القرن التاسع عشر في أوروبا والذي كان مطبقًا على تاريخ الأدب الاوروبي نفسه فكانت لهم محاولات في تنظيم الأدب العربي ودراسة تطوره وفق تسلسل زمني وضعوه كان مرتبطا بتاريخ الأسر الحاكمة في الغرب والتقلبات السياسية.

كما تأتي ريادة جوزيف بورجستال من المستشرقين اللاحقين عليه من الناطقين بالألمانية، وهو المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" الذي يشير في كتابه "تاريخ الأدب العربي" إلى أن أول من قام بالمحاولة الأولى لتقديم تاريخ الأدب العربي في عرض كامل هو المستشرق النمساوي "يوسف هامر بورجستال". غير أن بروكلمان يلتمس العذر لوقوع أخطاء في هذه المحاولة على الرغم من اتصاف كتاب بورجستال بالضخامة والاتساع، لأن أهم مصادر تاريخ الأدب العربي في زمان بورجستال لم تكن معروفة، فما زالت إلى يومنا هذا ـ والكلام لبروكلمان ـ مخطوطات مبعثرة متفرقة لم تأخذ حظها من التصنيف والفهرسة والتحقيق والنشر، ثم يضيف: كما أن الرجل ـ أي بورجستال ـ لم يكن على علم كاف باللغة العربية، مما يجعل الانتفاع بكتابه اليوم يتطلب الحذر الكبير. وربما كانت لكلماته أثرها السيئ على المتابعين لمحاولة بورجستال العملاقة.

والواقع أن كتاب بورجستال "تاريخ الأدب العربي" الذي نشره بين سنوات ١٨٥٠-١٨٥٦، فصدرت منه سبعة مجلدات ضمت قرابة 7.000 صفحة، ويبلغ عدد التراجم في هذه الموسوعة 9915 ترجمة، مع مقتطفات لكل منهم مقتبسة من مخطوطات فيينا وليدن وجوتنجين، وعلى الرغم من أن المؤلف بدأ في تصنيفه، وعمره 76 سنة، ولما يتمه؛ وحالت المنية بينه وبين أن يكمله، وخفيت عنه المصادر، ولم تكن قد أحصيت في عصره، وأهمل وضع فهرس الأعلام والمؤلفات له. فحسب صاحبه فضلا أنه كان أول من أقدم على تصنيفه في عرض كامل، جعله مرجعاً فريداً في اتساع مداه ودقة مصادره وحسن إخراجه، وعلى منواله نسج بروكلمان واستند إليه في كتابه: "تاريخ الآداب العربية" [5].

وهو ما يعني أن بروكلمان يعترف بأنه لم يكن الرائد في هذا المجال، وأن قصب السبق من حق الذي مهد الأرض وهو في أخريات عمره لكل اللاحقين عليه من المستشرقين، وعليهم أنيقوموا باستكمال المهمة التي تحمَّل هو عبء القيام بها وحده.

وإن كان بورجستال هو الممهد لبروكلمان، إلا أن عطايا الاستشراق النمساوي في الأدب والدراسات الإسلامية لم تنتهِ عند هذا الحد، بل استفاد بروكلمان منها حين أشاد بالمستشرق النمساوي البارون "ألفريد فون كريمر" وبكتابه الممتاز عن "تاريخ عمران المشرق في عصر الخلفاء" وهو تخطيط مختصر نشره في فيينا سنة 1877م، وكان له أثر قوي في توجيه بروكلمان، وتنوير جوانب الموضوع الذي تعرض له.

وقد ساهم بورجستال في تحفيز بروكلمان وغيره من الأوروبيين نحو تأريخ الأدب العربي، حتى اتفق كل المهتمين، بأن كتاب "بروكلمان" "تاريخ الأدب العربي"، من أهم ما وضع في مجاله، بعد كتاب "يوسف هامر بورجشتال" "تاريخ الأدب العربي إلى القرن 12" المطبوع في فيينا عام 1850م في سبعة أجزاء. ويقول عبد الرحمن بدوي في موسوعته عن المستشرقين مادحا كتاب بروكلمان: (من ذا الذي يمكن أن يستغني عن "تاريخ الأدب العربي" بأجزائه الخمسة...إنه لا يزال حتى الآن المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية

وأماكن وجودها)، ويجب الإشارة إلى أن بورجستال لم يتم كتابه لوفاته، وجاء تأليفه له وهو في مرحلة الخريف من العمر، بينما بدأ بروكلمان كتابه ـ المشار إليه ـ وهو في الثلاثين من عمره.

المستشرق "جوزيف فون همَّر پورجشتال": بين النقد والإشادة:

لقد مدح الكاتب والشاعر والفيلسوف والناقد واللاهوتي والعالم الألماني الكبير "يوهان جوتفريد هردر" الشاب جوزيف بورجستال، فقال: (ليت شعري أن تزهر كل الآمال التي ننتظرها من المشرق في آثار هذا الشاب ذي المواهب والإلمام باللغات!).

تتساءل آنا ماري شيمل: (ما الذي يمتاز به هذا العالم العامل ـ تقصد جوزيف بورجستال ـ الذي ينقسم العلماء عند الحكم في قسمين؛ فمنهم من مدحه غاية المدح كما فعل ذلك كثير من زملائه النمساويين مُدَّعين أنه كان "فخر الغرب"، الفاتح الكبير الروحاني للشرق، مشعل العلم ومنارته، قطب الأجيال القادمة..."، ومنهم من نقضه أشد النقد، مُدعيًا أن علمه بالعربية قليل وتفاخره وطموحه أكبر بكثير من تعمقه في العلوم... ولا شك أن همر لم يكن عالمًا بحتًا بمعنى الكلمة وإن كان قد ألف أكثر من 75 كتابا، بعضها ضخم جدًا، ومئات من المقالات والتراجم ويندُر أن ترى في تاريخ الاستشراق مثله: ذو أفكار عالية وهمة جليلة، وفي الوقت نفسه ذو غيرة وطموح شديدين، ألف من الآثار ما لم يؤلف غيره قط، ومع ذلك فهو يفتقر إلى الطريقة العلمية في البحث، وقد جمع من الكتب وأطَّلع من الأشعار على ما لم يطلع عليه أحد قبله وربما بعده، ومع ذلك فانه لم يبقَ من مؤلفاته ما هو معروف في تاريخ الاستشراق إلا القليل وقد حصل على معلومات يصعب على العالم العصري الحصول عليها ولذلك لابد من مطالعة بعض مؤلفاته حتى الآن وإن لم نجد في مئات الصفحات إلا خبرًا أو خبرين مهمين، ومع أن تأثيره في تاريخ الاستشراق العلمي قليل لا يزيد على ما تثيره كتبه بين الفقهاء في اللغة لرد غلطاته إلا أن تأثيره في تاريخ الأدب الألماني عظيم فقد صار أستاذ الشاعر كبير جوته، كما تعلم من آثاره الشاعر المستشرق ريو كارد والشاعر الظريف كونت بلاتين وما أسعد من يُسمى أستاذًا ومعلمًا روحانيا لشعراء وطنه وأدبائه!).

وتتلمذ على فون همر مستشرقون كثيرون من أبرزهم المستشرق النمساوي "ألويس سبرنجر"، الذي درس عنده في سنة 1833 ليصبح فيما بعد من أبرز المستشرقين الدارسين للتراث الإسلامي في القارة الهندية، والتي أقام فيها 14 سنة، ودرَّس في مدارسها وكلياتها، وكان من أكثر الناس تأثراً بأستاذه وأقربهم إليه، ولذا تتسم مؤلفاته بالجدية والاحترام للإسلام وعلمائه وتراثه.

يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي أحد أبرز الفلاسفة المصريين في القرن العشرين وأغزرهم إنتاجا عن همر فون: (وعلى الرغم مما أخذ على نشراته، خصوصاً: "أطواق الذهب" للزمخشري، فإن كتبه في التاريخ العثماني بقيت فترة طويلة من المراجع الأساسية. وأعماله كلها تمثل مرحلة عظيمة في تاريخ الاستشراق في أوروبا عامة، وفي ألمانيا بخاصة. وربما كان همّر خير وسيط ظهر حتى الآن بين الشرق الإسلامي وأوروبا. وهو الذي وجّه الشاعر الألماني الرومنتيكي روكرت للاهتمام بالشعر والأدب العربيين والفارسيين) [6].

في مقال نشرته مجلة «فكر وفن"، وهي مجلة ألمانيا محتجبة كانت تصدر باللغة العربية، قال الباحث "يوهان فوك": "لم يكن من طبع كارل بروكلمان أن يثير ضجة كبيرة حول نفسه وأعماله. فعندما احتفلت به جامعة خاله علم ١٩٤٨ بعيد ميلاده الثمانين، وذكرت في تهنئتها له جليل أعماله في خدمة الاستشراق، أجاب مذكرًا الحاضرين أن مصير جميع الأبحاث العلمية أن

يتفوق عليها تقدم المعرفة العلمية، وقال: (إن العادة هي أنه بعد خمسين عامًا على وفاة الباحث، يصبح ما كان صحيحًا ثابتًا من أبحاثه تراثًا عامًا للبحث العلمي، بينما تذهب أخطاؤه ضحية النسيان).

يقول الدكتور حسين مؤنس العالم المصري الكبير في مجالات التأليف والتحقيق والترجمة والبحوث العلمية والكتابة الأدبية وأحد أهم مؤرخي العرب المحدثين: (وكيف لا نقدر يوسف فون هامر بورجستال ذلك النمساوي الموهوب الذي أتقن العربية والفارسية والتركية وألف فيها جميعًا، وفُتِنَ بالثقافة العربية حتى جعل جمع مخطوطاتها شغله الشاغل أيام كان قنصلا ومستشارا للخارجية النمساوي ثم مستشارًا للدولة، حتى لقد أقام الدنيا وأقعدها عندما استولى الفرنسيون على 300 مخطوط عربي من المكتبة الوطنية لفيينا عندما غزوا النمسا أوائل القرن الماضي ـ يقصد القرن التاسع عشر ـ ولم يهدا له بال حتى استرد منها 200 ثم ألف تاريخا شاملاً للأدب العربي طبع فيما يزيد على 7000 صفحه ترجمه فيها لنحو 9910 من أعلام الفكر العربي) [7].

لقد أثار غزارة إنتاج جوزيف بورجستال عجب المستشرقة الكبيرة آنا ماري شيمل، فتقول: (وإن كان القارئ الصابر قد تابع تعداد آثار هامر الأدبية إلى الحد الذي وصلنا فلا شك أن تأخذه الحيرة تجاه هذا الجلد وهذا الاجتهاد، ولعله يظن أن هذا الإنتاج سيكفي لحياة رجل بل لبضعة رجال. ولكنه سيزداد دهشة وتعجبًا إذا داوم على متابعة فعالية هامر في سائر ميادين العلم).

يرى الدكتور يونس التميمي مترجم كتاب "قصير عميرة برؤى نمساوية" أن هدف جوزيف بورجستال الأكبر، هو: (الإلمام الشامل بعلوم الشرق في كلياتها... ومن مآثره أنه استوعب تاريخ وفلسفة الشرق... وذلك في نظرة حرة ومجردة، وهكذا بدأت ما سمي لاحقا "النظرة الفلسفية الجديدة إلى الشرق ـ مدرسة بورجستال").

الخاتمة:

لقد ترك الاستشراق النمساوي بصماته منحوتة في جسد الأدب والفن العربيين ظاهرة وواضحة، حتى أصبحت من المعالم الدالة على محاولات الغرب الباكرة في استكشاف وسبر أغوار كنوز الشرق المعرفية والتاريخية والأدبية، غير أن ما يميز ذلك الاستشراق أنه مختلف عن مدارس الاستشراق الأوروبية ودوافعها نحو الشرق بعامة، والعرب بخاصة، وهو ما بدا جليًا في الأعمال الغزيرة الرائدة التي تناولها "رائد المدرسة الجرمانية في الاستشراق" وهو اللقب الذي أطلقته عليه "رابطة العلماء السوريين" احتفاءً بعلمه وشخصه، والجرمانية المذكورة في العبارة "اللغة" وليست "الدولة"، وعلى الرغم من احتفاء المهتمين من العرب بكتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي"، إلا أن أدبياتهم، ومؤلفاتهم لا تنسى أبدا الكتاب الأول واليد الأولى التي لها الفضل والأثر في تأريخ الأدب العربي ولفت أنظار أبناء القارة الأوروبية إليه بل حثهم على استكمال مسيرته من بعده.

المراجع:

1- شيمل، آنا ماري (1965)، ورقة من تأريخ الاستشراق في النمسا يوسف فون هامر بورجستال، ع5، مجلة فكر وفن، القاهرة، ص11.

2- عدلي، رشا (2019)، القاهرة: المدينة والذكريات، دار نهضة مصر، القاهرة، ص14.

3- الحوقاني، عيسى بن سعيد بن عيسى (2018)، إشكاليات التأريخ للأدب العربي حسب المذاهب أو المدارس الأدبية، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، عمان، ص150.
4- شيخو، لويس (1990)، تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين، دار المشرق، بيروت، ص1.
5- العقيقي، نجيب (1964)، المستشرقون، دار المعارف، ط3، ج 2، ص 627.
6- بدوي، عبدالرحمن (1993)، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، ط.3، بيروت، ص615.
7- فيصل، شكري (1982)، مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي بالفحص والنقد والاقتراح، دار العلم للملايين، بيروت، ص135.
8- مؤنس، حسين (1964)، كارل بروكلمان، ع66، مجلة العربي، الكويت، ص34.